مكتب السجلات العامة في لندن، والمؤلفات المنشورة المختلفة بالعبرية والعربية والانكليزية والفرنسية . ولكن بعدما يشق القارىء طريقه عبر ٣٠٠ صفحة طويلة من متن الكتاب وما ينوف على ألف حاشية ، فانه يدرك ان ما بحث فيه المؤلف هو ليس « بروز الحركة الوطنية الفلسطينية » بل مجرد وجه صغير ورسمي من اوجه تلك العملية . وهذا الوجه هو اتصالات اللجان التنفيذية العربية وزعمائها وعلاقاتهم برسميي الحكومة البريطانية ، ارتكازا الى استخدام ضيق جدا للمواد الارشيفية، وبصورة رئيسية وثائق الحكومة البريطانية التي هي بحوزة ارشيفات الدولة الاسرائيلية ، وتقارير المخابرات الصهيونية ـ ويعالج المؤلف كلا المصدرين بثقة زائدة وبالغاء تام للشك النقدي .

تقول ملاحظة الناشر على الغلاف الورقي للكتاب ان الكتاب « يرسم بالتفصيل تطور القومية الفلسطينية خلال العقد من الزمن الذي أعقب نهاية الحرب ... القدس ومكان فلسطين في التاريخ الاسلامي ، ويتفحص التأثيرين اللذين شكلا بروز القومية الفلسطينية ، والصهيونية ، والقومية العربية » ... رابطا هذه بـ « انبعاث القومية الفلسطينية في اعقاب حرب ١٩٦٧ » . وفرضية المؤلف هي ان الوعي القومي الفلسطيني ليس ظاهرة جديدة بل تعود اصوله الى الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى .

مقدمة الكتاب مكرسة لتفحص سريع لفلسطين تحت حكم الاتراك في الجزء الاخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ويقدم المؤلف لنا لمحة عن البنية الاجتماعية مع كون الوجهاء والاعيان منغرسين بثبات واخلاص في خدمة البروقراطية التركية . وتبرز ثلاثة معالم واضحة في روايته : اولا ، وجود كيان فلسطيني منفصل ، يتميز عن سوريا والتحديدات السائدة لتلك المنطقة بكونه سوريا الجنوبية ليس الا . ثانيا ، الدور الصغير الذي لعبه عرب فلسطين في الحركة الشريفية والولاء المستمر للاتراك حتى الفتح البريطاني . ثالثا ، مقاومة الصهيونية التي يثبت الكتاب ، خلافا للاسطورة الصهيونية ، انها كانت موجودة بقوة ، قبل وعد بلفور والتدفق اليهودي الكبير الى فلسطين في العشرينات .

الفصول الثمانية التي يتألف منها هذا الكتاب معروضة بطريقة اتفاقية نوعا ما ، وتفتقر الى أية استمرارية تاريخية واضحة . فالفصل الاخير يبحث في الاوجه التنظيمية للحركة ، وفي اقامة اللجان الاسلامية المسيحية ، تكوينها وطرق نشاطها السياسي . ويأتي على ذكر البنية الاجتماعية لفلسطين والصفة غير التمثيلية للمؤتمرات الفلسطينية واللجان التنفيذية المختلفة التي كانت تعكس سيطرة وجهاء المدن والزعماء الدينيين وملاكي الاراضي الاثرياء . هذا الفصل كان من الافضل وضعه في بداية الكتاب بدلا من النهاية . وعوضا عن ذلك يطلعنا المؤلف ، في الفصل الاول ، في سيناريو معارضة عربية للصهيونية مع بداية الاحتلال البريطاني ومختلف تحركات « النادي العربي » واللجان الاسلامية المسيحية ، دون اي تفحص لتكوينها الاجتماعي وبنيتها وأساسها الاجتماعي . ويتفحص الفصل الثاني بروز توكيد ، بعد هزيمة الحكومة العربية في دمشق ، على شعار « فلسطين للفلسطينيين » بدلا من سعي مستمر الى الوحدة العربية ، وينكر صحة مفهوم سوريا الجنوبية بقدر ما يتعلق الامر بالزعماء الفلسطينيين العاملين . ولا تأتي رواية بوراث عن الفترة ما بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٩ على ذكر دور عوني عبدالهادي وحزب « الاستقلال » اطلاقا . والفصل الثالث يواصل قصة الجهود العربية للتوصل الى تفاهم مع الانتداب عن طريق احداث تغيير في شروطه فيما يتعلق بالوطن القومي ، ويعرض المؤلف علينا رواية مفصلة بدقة لمباحثات الوفود العربية الاربعة وقصة المجلس التشريعي . ويحطم الفصلان الرابع والخامس استمرارية الرواية ، فالاول يبحث في تعيين الحاج امين مفتيا وفي اقدام البريطانيين على تأسيس « المجلس الاسلامي الاعلى » ، في حين يركز الثاني على معارضة آل النشاشيبي ، مقوماتها وصفتها العائلية والشخصية الملازمة لها . ويتخذ المؤلف موقفا يتكافأ فيه الضدان ، ففي حين يظهر بوضوح وجه « التعاون مع العدو » البريطاني والصهيوني لهذه المعارضة ، ويشير الى انعدام اتجاهها « الوطني » ، فان ثمة تعاطفا ضمنيا مع معارضتها للزعامة الوطنية العربية وللحسينيين ، وهذه صفة مميزة للكتابات الصهيونية حول الموضوع . ومع ان الفترة ما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٩ تمتد ستة اعوام ، فان المؤلف يوجزها في ١٧ صفحة فقط . وتوصف الفترة